

# القصة العربية في الادب العربي

الدكتور عمر الطالب

رئيس قسم اللغة العربية بالوكالة

ليست القصة دخيلة على ادبنا العربي انما وجدت من امد بعيد وعرفت في العصر الجاهلي كحرب داحس والغبراء ويوم الفجار . وكانت هذه القصص ممتة وموضوع اعجاب العرب في اماسيهم وسمهم ناهيك عن قصص الهوى الكثيرة التي احتلت مجالس الانس ولاقى نصيباً وافراً من الاعجاب ، كقصة المنخل اليشكري والمتجرده زوج النعمان وما كان بينهما من علاقة . وعرف العرب قصصاً تتناول بالتفسير الاسطوري الحياة والخلق ؛ فحكوا الحكايات عن نشأة العالم وعن آدم ونسله ؛ وعن نشأة اللغات وتعددتها . وعن التاريخ ، العربي كما تخيلوه حتى الاسلام مما نجده في كثير من الكتب مثل كتاب التيجان لوهب بن منبه . وكان القصص يقبس احياناً من الامم الاخرى فيضع هذه القصص المنقولة في قالب عربي صرف يتفق مع ميول انعربي وذوقه فضلاً عن ان العرب في العصر الجاهلي قد حفظوا قصصاً كثيرة عن الفرس . كانوا يروونها في مجالس انسهم حيث

وردت عدة قصص من هذا القبيل في سرية بن هشام «١» .  
وقد ورث الادب العربي عن العصر الجاهلي كثيراً من ادب  
الاسطورة وادب القصص الخرافي كما يجده في « كتاب الاكليل »  
الهمداني وكتاب « التيجان » وكتاب « اخبار اليمن » للجرهمي «٢»  
ولم يحضر الاسلام سماع الاقاصيص الصادقة بل عمل على  
تشجيعها لما فيها من التسلية الريشة ولانها كانت عاملاً من  
عوامل الحث على الفضيلة والحض عن الرذيلة .

وقد استعمل القرآن الكريم القصة واعتمد عليها وهو يلجأ  
الى الاسلوب التصويري في قصصه يصور الحدث ويجسمه ويدفع  
فيه الحياة . ويرسم المكان ويصوره ويشركه في الحدث .  
وهذا يعني ان اسلوب القصة العربية كان يعرف التصوير  
والتجسيد ويلجأ اليهما وقد لجأ القرآن الى الحوار يجريه  
على لسان شخص قصصه في جدالهم ونقاشهم وفي اسلوب  
متنوع مختلف الجمل والفقرات باختلاف المواقف القصصية  
كما لجأ الى اسلوب الحوار في خطابه للمشركين .

---

(١) انظر نجيب سمد (تراثنا الادبي المعاصر) ص ٥٩١ فاروق خورشيد (في الرواية العربية) (٢٢ - ٢٣ - ٢٠ - ٢١ ، احمد امين ( فجر الاسلام ) . محمد مفيد الشوباشي ( القصة العربية القديمة مصطفى الشكعة في ( فنون الادب ) ٦٩ - ٧٥ ، د . شوقي ضيف ( الادب العربي المعاصر ) ١٨٢ - ١٨٣ د زكي المحاسني ( نظرات في ادبنا المعاصر ) ٥٧١ محمود تيمور ( محاضرات في ادب العرب ماضي وحاضر ) ٢٦ جعفر الخليلي ( القصة العراقية قديماً وحديثاً ) ١٥ - ١٦ ، عباس خضر ( القصة القصيرة في مصر ) ١٥ - ١٦ ، احمد ابو سعيد ( فن القصص ) ٤٣ - ٤٤ د . محمد غنيمي هلال ( الادب المقارن ) جب ( تراث الاسلام ) ١٦٤ . مجلة العروة ١٤ ( ١٩٣٩ ) ٤٦ - ٥٠ .

(٢) عبد العزيز عبد المجيد ( ادب القصص عند العرب ) ( الادب ) ( ٧ ) ١٩٥٤ .

وتتردد فيه كلمة «قالوا» كما تتردد كلمة «قل» للرد على اقوال المشركين . وهذا يعني ان العرب قد عرفوا «اسلوب الحوار» فيما رووا من قصص وما عرفوا من اساطير وحكايات. وتبرز الخصائص الفنية الاخرى من القصة القرآنية في عنصر الشخصية وهي متنوعة، منها ماهو من الطيور والحشرات ومنها ماهو من الملائكة ومنها ماهو من الجن ومنها ماهو من الانبياء والمرسلين ومنها ماهو من الرجال والنساء العاديين . وهناك ايضا عنصر الحادثة الذي يختلف فيه رسم الحادثة من موطن الى آخر باختلاف الموقف واختلاف القصد والغرض. والقصة القرآنية تهدف الى اغراض بعينها ، اغراض دينية في الغالب ، ولكن عند تحقيقها لهذه الاهداف تنتهي عند عملية الايحاء الافاضة . والوظيفية التي تؤديها الفنون جميعاً «١» . وفي عهد الخلفاء الراشدين اخذت القصة تتخذ لها وضعاً رسمياً فتكون اشبه بمنصب يتولاه القادر عليه فقد روى ان اول من قص في مسجد رسول الله «تميم الداري» «٢» استاذن عمر في ذلك فاذن له وكان يقص في يوم الجمعة عقب الصلاة وكان «ابن عباس» يجلس ايام الاسبوع للدرس والتعليم . فافرد للقصة يوماً . وفي ايام عثمان اذن لتميم الداري ان يقص يومين في الاسبوع بدلا من يوم كما كان

(١) د . محمد احمد خلف الله ( الوظيفة الفنية للقصة القرآنية ) مجلة القصة ٧ ١٩٦٤ .

(٢) عن كتاب نجيب سمع (تراثنا الادبي المعاصر) وكتاب فاروق خورشيد (في الرواية العربية ) ان بن شهاب اول من قص في مسجد الرسول ولما سئل الحسن قال انها جرت في خلافة عثمان واول من قص تميم الداري .

في عهد عمر ففعل . ودخل علي مسجد البصرة يتعرف ماذا يقول القصاص ، فلما جاء الى حلقة «الحسن البصري» اعجب به واجاز له ان يتحدث واقصى عن المسجد من لم يره اهلا للقص على الناس

واما معاوية فيروي المسعودي عنه انه كان يستمر الى ثلث الليل في اخبار العرب وايامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتهما وغير ذلك من اخبار الامم السالفة «١» وقد ظهر في الادب العربي القديم لونا من القصص ، منشور ولون منظوم . فانما القصص المنثورة فقد بدأت سيراً وحكايات عن سلف العرب من انبياء وملوك وامراء وفرسان وكانت هذه الحكايات والسير في نشأتها الاولى كالحنين لا تستبين له صفات او خصائص ثم برزت هذه السمات شيئاً فشيئاً . ثم ظهر نوع من القصص المنظوم بينما كان ذلك القصص المنثور ينمو وينسج كيانه من خيوط اخبار الاقدمين التي توارثها الرواة عن الرواة ، وعر الشعر الروائي الحديد عن الاحداث الراهنة فوصف وقائع الحروب التي كانت تدور انذاك كما نرى ذلك في اخبار عبيد بن شريه وتيجان وهب بن منبه وسيرة دغفل الشيباني . ولكن هذه الالوان اختلفت في صورتها عن صورة الشعر القصصي غير العربي فتعاقب فيها النثر والشعر ، عوض ان تكون شعراً خالصاً . فأصبحت القصة تحكي الواقعة ثم يعبر اشخاصها عما وقع لهم وعن خواطرهم ومشاعرهم شعراً «٢»

(١) محمود تيمور ( القصص في الادب العربي ) ٤٤ - ٤٥

(٢) محمد مفيد الشوباشي ( القصة العربية القديمة ) ٢١ - ٢٢ ، د . حنين نصار ( الشعر القصصي

والادب العربي مجلة الاقلام ١٩٦٦ ) .

وقد تأثر الادب العراقي الحديث بهذا النمط من القصص الشعري ، فزخر شعر الرصافي والكاظمي والزهاوي به . كما ظهرت في الخمسينات من هذا القرن قصص شعرية في كتب مستقلة للشاعر بدر شاكر السياب « الاسلحة والاطفال » عام ١٩٥٤ و « المومس الفاضلة » عام ١٩٥٤ . ولعبد السلام ابراهيم ناجي « ثريا » عام ١٩٥٢ ولسعدى يوسف « القرصان » عام ١٩٥٣ ولموسى النقدي « محمود والقمر » عام ١٩٥٨ . كما ظهر في العصر العباسي نوعان من القصص النوع الاول القصص الاخبارية او الحاد الذي يعتمد في اغلبه على التاريخ والوقائع المشاهدة او المنقولة . والنوع الثاني القصص الفكاهي المسلي . وقد رحبت اللغة العربية بترجمة هذين النوعين من الادب القصصي اليها وكان كتابا كليلة ودمنة والف ليلة وليلة من النوع الفكاهي المسلي الذي يدرك سامعه بعده عن الحقيقة . وكان يطلق على حكايات الف ليلة وليلة « خرافات » كما يقول المسعودي وظهر من الادباء العرب من اقبل على تصنيف هذه القصص الخرافية وتسجيلها . وذكر ابن النديم في الفهرست بابا لكتب الخرافات المعروفة في عهده « ١ » . والقصص المنقولة منها ما نقل عن الاصل في امانة مثل كليلة ودمنة ، ومنها ما لحقه التغير او الاضافة او الحذف او الصقل او التهذيب حتى كاد يصبح غريباً عن اصله مثل الف

---

(١) وقال ان محمد بن عبدوس الجهشيارى قد ابتداء بتأليف كتاب اختار فيه الف سر من اسرار العرب والمجم والروم وغيرهم كل جزء قائم بذاته واحضر السامريين واخذ منهم احسن ما يعرفونه فاجتمع له في ذلك اربعمائة ليلة وثمانون ليلة كل ليلة سر تام ثم عاجلة المنية قبل استيفاء ماني نفسه من تسعة الف سر . د . عبد العزيز عبدالمجيد (ادب القصص عند العرب) (الاداب ٧ ١٩٥٤ بيروت .

ليلة وليلة . اما المصادر التي استمد منها هذا القصص المنقول  
فأهمها الفارسية «١» والهندية «٢» .

اما القصص الموضوعة الجادة فمعظمها لها اصل  
تاريخي اشخاصها ابطال حرب او حب حقيقيون وحوادثها  
الرئيسية التي بنيت عليها حوادث وقعت في التاريخ ولكنها  
تغيرت بمرور الزمن عندما تناقلتها الالسن بالرواية فكان  
الراوي يتناول القصة من مصدرها ويروها للناس على حسب  
هواه . فكان راويا ومؤلفا في الوقت نفسه ومعظم هذه القصص  
مجهولة المؤلف . اما التي تحمل اسم مؤلف معين فانتسابها  
اليه كانتساب بعض الملاحم القديمة لاصحابها فالمؤلف لم  
يكن سوى جامع لاجبار هذه القصة وروايتها بعد تعديل  
وتفنيح . وكثيرا ما كانت تنسب هذه القصص لرواة مشهورين  
امثال الاصمعي «٣» .

ومن اشهر القصص العربي القديم ، القصص الغرامي وتعد  
هذه القصص احدا ركان الفن القصصي العربي . وهي بالرغم  
بما فيها من خلط في التاريخ ، ومغالاة في الوصف ونقص في  
التأليف تحتوي على شي من مقومات القصة الفنية . واهم هذه  
القصص ثلاث : مجنون ليلي وجميل بثينة ، وقيس لبنى .  
وابطالها مذكورون في التاريخ . ويلاحظ ان هذه القصص

---

(١) كليله ودمنة ، حذار افسافة يوستاس ، خرافة ونزحة : الدب والشعب ، روزيه اليتيم ، نمرود ، مزدك .  
(٢) سندبادالكبير والصغير بوداسيف . الهند في قصة هبوط ادم . ملك الهند . القتال والبياح .  
الف ليلة وليلة .

(٣) محمود تيمور . دراسات في القصة والمرح . ص ٣٥ .

قد اشتقت من ينبوع واحد، هو ينبوع البادية وعالجت موضوعا واحدا هو الحب العذري ، فبطلها دائما بدوي يعيش عيشة الفطرة ويتحلى بصفات طيبة كالكرم والعفة والشهامة. والقصص العلمية والفلسفية مؤلفوها من العلماء . وقد كتبوها للخاصة من الناس . واشهر هذه القصص قصة حي بن يقظان والانسان والحيوان والصادح والباغم ورسالة الغفران والمقامات «١» .

والغرض الذي رمى اليه المؤلف من كتابة هذه القصص عرض فكرته الفلسفية او نظريته العلمية ومن ثم كانت الصياغة القصصية في المرتبة الثانية .

وجميع هذه الكتب الفت بلغة سليمة . وتقف السيرة النبوية كمرحلة بين الشكل القصصي الذي عرضه العرب قبل الاسلام وبين شكلها الذي تطور فيما بعد الى القصص العربي الاسلامي. والذي لاشك فيه ان السيرة قد اثرت في القصة العربية تأثيرا ضخما كبيرا «٢» فلن نجد بطلا في القصة العربية لا تؤيده خطوه غيبية تسدد خطاه وتعينه .

اما القصص الدينية فقد كان موضوعها الاساسي الدين والرسول والانبياء وهذا النوع من القصص قديم في الاسلام . ففي القرآن الكريم حكايات عن الامم الغابرة والشعوب القديمة التي

---

(١) ومثله مؤلفات هشام الكعبى وعيون الاخبار لابن قتيبة والكمال لمسيرد والامالي لابن عربي القالي . والبخلاء للجاحظ والمقد الفريد لابن عبد ربه ومروج الذهب للمسعودى والاغانى لابن الفرج الاصفهاني واسماء العرب والمعجم لابن عبد الله الجبشيارى . فاكهة الخلفاء لابن عربشاه . والمستطرف في كل مستظرف لابن شهيم . وجوامع الحكايات للعوفي .

(٢) فاروق خرشيد (في الرواية العربية) ١٩٥ .

سبقت الاسلام وهي تختلف في طولها وقصرها . ومنها كتاب  
قصص الانبياء للكسائي و « العرائس » للثعالبي وبعض الحكايات  
الدينية القصيرة مطبوعة بصورة مستقلة .

وتعتمد القصص الحماسية البطولية في هيكلها على حوادث  
التاريخ: اما نشأة هذه القصص فهي نشأة طبيعية بحثة فان الناس  
في كل امة يحبون البطولة والحرب ويرددون وقائعها معترزين بما  
احرزوه من نصر فيها ممجدين ابطلها . وكانت حياة العربي  
حياة نزاع وحرب متقابلة دائمة الشجار ، واخبار بطولته يزخر  
بها تاريخه ومن ثم اخذ الرواة يروون للناس هذه الحوادث  
التاريخية ثم يضيفون من عندهم ما ارادوا . واخذت القصص  
تحاك حول هذه الاخبار شيئاً فشيئاً الى ان انتهت الى الحالة  
التي عليها ، مثل قصة بكر وتغلب ، وعنبرة ، والبراق ، وعمر بن  
شبه ، وكسرى انوشروان ، وبشر الاسدي .

والى جانب القصص الحادة القصص الشعبية « ١ » وكانت  
ملهاة للشعب يسمر بسردها للناس ويقرأها في الكتب ويمثلها في  
الحلقات لسرد العبر الماضية والاتعاض بها . مثل قصة عنبرة  
وقصة الهلالية وقصة الظاهر بيبرس وذات الهمة وسيف بن ذي  
يزن وفيروز شاه وعلي الزبيق واحمد الدنف « ٢ » . تسلمنا

---

(١) فما ظهور الادب الشعبي احيانا الا علاقة قصوراو نقص في الادب الرسمي او مرخنة  
احتاج على جمود الفصحاء) توفيق الحكيم (زهرة العمر) ١٦٠

(٢) (شجع الموحدون نشر الكتب التي تتحدث عن الفروسية او كتب المغامرات والقصص في  
انحاء المملكة سواء في المغرب او في الاندلس بل لقد سمحوا لهذه الكتب ان تلقى من فوق  
منابر المساجد ) (تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين) ج ٢ ص ٥٤ .



السيرة الشعنية من قصة الى قصة . وكل قصة تشابك مع الأخرى . تشابك مع حكايات عن المكر والشجاعة والحن والاحتيال . وهذه السيرة تخلصت من النظرة التاريخية واصبح هدفها اجتذاب القاري والتأثير عليه بل لا تجد حرجاً في مخالفة التاريخ في اشيء معروفة ومشهورة « ١ » .

ومن الدلائل على ان السيرة تبغي التأثير على القاريء وتؤثر الاسلوب القصصي ، استغلالها لعنصر الطبيعة في تهيئته الجو وخلق مجال يؤثر على القاري ، ففي كثير من مواقعها في وصف الطبيعة التي تحيط بالعاشقين ، وصفاً ينمي الموقف ويرزه ويرد فيها الشعر على لسان ابطالها . واستعانة القاص هنا ليس فضولاً ولا حليه وانما لجوء الى اقرب الادوات للتعبير عما في النفوس . واستعان الشاعر العربي بالشعر ، ليقدم ما نسميه في القصص الحديث بالمونولوج الداخلي ويتبع ، بواسطة الشعر ما يسمى في النقد الحديث بالحركة الداخلية لنفوس الابطال . فالشعر في هذه الحالة يكمل الصورة ويعطيها عمقها ويرسم ظلالها والوانها ويخرج القصة من مجرد كونها سرداً جامداً تاريخياً لاحداث اسطورية ذات دلالة معينة لا تتضح الا في النهاية ، الى قصة حية تعيش في وجدان الناس بما لشخصياتها من حياة حقيقية فنية مليئة بالانفعالات والانطباعات عامرة بالمشاعر المختلفة المتباينة المضطربة . وهي تبدأ من الشعر الذي يشابه الاشعار الجاهلية التأليف الى ان تصل الشعر القريب من العامية كما نجد عامية

---

(١) تجعل عمر بن ابي ربيعة شاعر من اهل الشام وتحدث عن علاقة طيبة بين عبادة بن الزبير وبين الخليفة عبد الملك بن مروان . عبد الحميد ابراهيم . محمد (قصص الحب العربية) ٠٨٥

خالصة في سر بني هلال .

ويتطور الأمر كذلك في استعمال هذا الشعر حتى يجده في آخر  
مراحله وقد غدا وسيلة الرواية نفسها فالبطل لا يتكلم في هذه  
القصص الا شعرا تتخلله بعض الحمل الثرية .

وهذا التدرج اللغوي يمكن اعتباره المؤشر البياني الذي يدل  
على درجة الانفصال اللغوي ومدى اتساع الهوة بين لغة الكتابة  
ولغة الناس «١» ويبدو ان هذا النوع من القصص، قصص  
الفكاهة والخرافة والبطولة . طغى عند العامة على القصص  
الواقعي الحدي وانتشر القصص للتسلية والتفكيك في الميادين  
والشوارع لدرجة خشي معها العلماء والفقهاء ان ينصرف الناس  
عن العلم وعبادة الله فحاربوا هؤلاء القصص «٢» . وقد ظهر  
اثر القصص الشعبي في الرواية العراقية واضحاً جلياً وبنيت  
بعض الروايات في الادب العراقي الحديث على نفس الاسس التي  
بنيت عليها القصة الشعبية مثل رواية حمدي علي «شيخ القبيلة»  
١٩٥٢ ورواية جعفر الخليلي «في قرى الجن» ١٩٤٨ .  
و«قلوب قاسية» ١٩٤٧ لعبد الرضا محمد علي و«المجرمون في  
الارض» ١٩٥٤ لعلي الخياط و«اغرب الاحداث في عالم  
الاشباح» ١٩٥٠ لاحمد فائق السعيد و«المجرم المتكرر» ١٩٥٠  
لنفس الكاتب ايضاً و«ابن الناطور» لفهمي مصطفى و«يتيمة  
الحي» لمحمود محسن النذيري . كما احس الكتاب بضعفهم امام

(١) فاروق خورشيد (في الرواية العربية) ١٧٠

(٢) يحدثنا الطبري في تاريخه ان السلطان امرت ٢٧٩ بالثناء بمدينة السلام ان لا يقعد قاص

على العريز ولا في المسجد الجامع . (عبد العزيز عبد المجيد المصدر السابق) .

هجمات اللغة العامية فحرصوا جهادهم على ان يكتبوا صحيحاً فاندفعوا ينتقون الكلمات انتقاء ويتخرون الاساليب تخيراً وتمادوا في ذلك كثيرا ومن هنا شاعت المحسنات اللفظية وظهرت قواعد جديدة في البلاغة تعتمد على التزييق والبرقشة وتعشقوا الالفاظ المهجورة والاساليب الغريبة . في ذلك الجو نشأت المقامة «١» وكان العصر عصر قلق واضطراب وفتن وحروب فجاءت المقامة صورة صادقة معبرة عن هذا كله . نجد فيها تعقيدا لغوياً يعبر عن التعقيد السائد في المجتمع ونجد تكلفاً في الاكثار من المحسنات البديعية ليعبر عن روح التكلف وعدم الاكتفاء بالمحدود في حياة السكان ونجد السخرية اللاذعة من بين السطور تعبيرا عن الالم الذي ساد طبقات المجتمع من جراء الفوضى التي كانت سائدة عندما تسلط الاتراك وغيرهم على العرب . كما نجد النفاق في حياة بطل المقامة يعبر عن نفاق المجتمع كله حاكمه ومحكوميه . ومنذ نشأة المقامة في القرن الرابع الهجري والمقامة عبارة عن لوحة لها اربعة اضلاع لا تستغن عن واحد منها، احد هذه الاضلاع يمثل الرواية والبطل معاً، والثاني يمثل السجع والمحسنات البديعية، والثالث يمثل معالجة المشاكل الطبقيّة والاقتصادية والفقهية واللغوية والنحوية والادبية، والرابع يمثل الموضوع . وهذا الضلع الرابع هو الذي يتغير، فمرة يكون الموضوع الكدية كما في مقامات الهمداني

(١) يرى المشرق ماسنيون انها المظهر الاول لقصة العربية . ويمتدق مارون عبود ان بعض مقامات البديع قصص بالمعنى الفني اليوم ثم يخلو في الاعتقاد فيقول ان كثيراً من كتاب اوربا يقصرون عن كثير من هذه المقامات وان موبوسان نفسه لم يكتب مثل المقامة المصيرية .  
مارون عبود المكشوف العدد ١٧٦ ص ٨

والحريري وناصر اليازجي . ومرة يكون الموضوع خالياً منها كما في مقامات احمد عبد اللطيف البربر وعبد الله فكري . ومرة يكون الموضوع وعظيماً محتاً كما في مقامات الزمخشري وقد يكون الموضوع علمياً او جدلياً كما في بعض مقامات السيوطي . ويقوم الشكل الفني للمقامة على حادثة قصيرة يتخللها حوار ، وتقص مغامرة يرويها راوعن بطل ويصف تنقلاته ومشاهداته واعماله ويحكي كل ذلك في اسلوب جزل انيق مسجوع .

والراوي والبطل يتكرران في كل مقامة وهما الرابط الوحيد او الوحدة الواحدة بين المقامات كلها . والبطل في معظم المقامات محتال يمتاز بسرعة بديهته وسعة علمه . غير مستقر في مكان واحد وعليه تقوم حوادث المقامة . والبطل في مقامات البديع والحريري يتخذ اشكالا ويظهر في احوال مختلفة . وقد يكون ناقدا اجتماعيا او سياسيا او اديبا ولغويا ولكنه دائما محتال متسول يحصل على المال بالخداع والحيلة ليوفر لنفسه المتعة واللذة . وهو دائما اديب بليغ حاضر البديهة يرتجل الكلام المطابق لمقتضى الحال منثورا ومنظوما ويستشهد

بالمأثور من ايات واحاديث وحكم وامثال واشعار ويعطينا كل من ابي الفتح الاسكندري بطل البديع وابي زيد السروجي بطل الحريري نموذجا للادب البائس في ذلك العصر الذي يحتال على كسب الرزق بالادب والشعر وبغيرهما فهو يرى ان الزمان قد حرمه واعطى غيره ممن لا يستحقون فلا بأس عليه ان يحتال ويلبس لكل حال لبوسها ويدور مع الزمان . وتشتمل المقامات على وصف للعادات واحوال

الناس في عصره . وتوجد الحركة في المقامة كما يوجد الحوار الذي يتم بينهما في صورة من الصور فيدفع بالحدث الى الامام . ويمكن ان نلاحظ في المقامة ايضا التصميم في الشكل والفكرة وخاصة عند الحرري . كما نعر على العقدة والاسلوب والمفاجأة والعرض القائم على التشويق مع ارتباط وثيق بالحياة الاجتماعية . كل ذلك يقربها من القصة في شكل من اشكالها وقد تبعتها المقامة عند بديع الزمان فوجدناها احدى عشرة مقامة : الاسدية والاصفهانية والبغدادية والموصلية والمضيرية والارمنية والحلوانية والحمرية والخمرية والمطلبية والبشرية والقريضية في المقامة الاسدية يتحدث عن موضوع السرقة التي يحترفها بعض فتيان الصحراء ، ويشاركها في الموضوع المقامة الارمنية . والفكرة في هاتين المقامتين لم تأت اعتباطا وانما جاءت بناء على تجربة مر بها بديع الزمان ومر بها معاصروه . فلصوص الصحراء كانوا منتشرين . ويتحدث في المقامة البغدادية عن الريفي الذي يسافر الى الحضر ويقع فريسة لاحتيال عيسى بن هشام الذي يقلد ابا الفتح الاسكندري . وشبيه لهما في الظرف المقامة المضيرية وان قالب الجد الذي صيغت فيه هذه المقامة الضاحكة ، وعنصر الحركة المتطورة الى الامام النابعة من الحوار الدرامي قد وهبها هذه المقامة القدرة على اضحاك القارى . ويتوفر عنصر التسلية في المقامة الخمرية كذلك وقد وضحت قيمة الحوار في هذه المقامات الثلاث ، وفي الاخيرة برزت شخصية ابي الفتح الاسكندري ذات الوجهين من ثانيا حديثه ، وشخصية التاجرة

التي تروج لبضاعتها والملاحظافي شخصيات الهمداني انها تكاد تكون متمركزة في شخصيتين ليس غير شخصية الراوي وشخصية البطل .

وهناك شخصيات ثانوية تلعب ادوارا ثانوية . ولم يلتزم منهجاً فنياً لتصوير نموذجهِ وتطويرهِ . فهو يبدأ مقاماته بالمقامة القرظية ويبدو فيها ابو الفتح هراً متغضن الوجه لبعء الشباب : ثم نراه بعء ذلك شاباً وكهلاً في مغامرات ليس فيها نوع من التطوير الذي يدل على ضرب من النضج الفني على نحو ما هو موجود عند الحريري . كما ظهرت العقدة في المقامات البديعية ولكن بشكل غير واضح فالمشاكل المعروضة فيها لم يبذل جهداً في حبكها ومن السهل على القارئ ان يحيط علماً بنهايتها في البداية .

اما الحريري فقد ظهرت مقاماته في القرن السادس الهجري وقد اغرق اسلوب مقاماته في الزخرفة والبهرجة والسحر والشعوذة بالقياس الى اسلوب الهمداني : وهذا راجع الى اختلاف بين عصر وعصر ففي القرن السادس الذي عاش فيه الحريري تعقدت الحياة الاجتماعية ، كما ان الالفاظ التي استخدمت في المقامات التي ليست الا صورة للمجتمع الذي سادت فيه الشعوذة الاجتماعية والركود الاقتصادي وحوادث القتل والتدمير فتعسر الحصول على الرزق . ولم تكن الزراعة والتجارة والصناعة وسائل مفيدة للحصول على لقمة العيش فلجأ بعض الناس الى الكدبة . وظهر الساسانيون الذين شرعوا اجنحة الاحتيال للحصول على الرزق من كل مكان يحطون فيه . وواضح ان ابا زيد السروجي يحرص على مواجهة واقعة بعقل نفعي ، وتفكير عملي واستثمار المنتهز الذي يرى كل شيء من

خلال ذاته فلا مثالية لديه ولا امل ومن ثانياً سلوكه نرى موقفه من عصره ومجتمعه . على انه لا يتخذ ادبه طريقاً للملق لسدى الكبراء بحيث يجعل مثالبهم فضائل كي يستجديهم تزييف بواطنهم وحقائقهم على نحو ما كان يفعل المادحون من معاصريه . بل آثاران يعيش واقعه وقد استهتر به العصر فاستهتر هو بالعصر . وكلاهما مدين للآخر . وعليه ان يعاني ضائقة مقلوبة ويعد نفسه اداة قصاص وعقاب وانتقام لذاته من اوشاب الناس . وطالما ورد الدين على لسانه وهو يخلطه بما يقترف من آثام فلا يرتاب المرء في مجونه واستخافة حيث يراه يطمح في عفو الله وهو يبرر شنيع فعلته . ويستخدم في وعظه قصر العمر وسرعة فوات الزمن سبباً للحث على التقوى وطالما تكرر ذلك في مقاماته امام الناس على حين يتخذ نفس القياس لتبرير سلوكه امام نفسه في انتهاز الملذات وابتدار المسرات .

فقضية هروب الزمن لديه ذات حدين يشغل الناس بها ويستمتع ويبدو بها متديناً واحتج بها ليلهو ويستهتر . ونخرج من هذ الى القول بان التطور القصصي في مقامات الحريري يأخذ شكلاً تقديمياً بالنسبة لمقامات الهمداني لان العقدة في مقامات الهمداني معدومة وهدفه من مقاماته اهداف وعظية تهديبية تعليمية دينية تدور حول موضوع الكدية . فالجانب الاخلاقي عنده يأخذ الجانب الاكبر في موضوعات مقاماته التي صاغها هذه الصياغة الفنية للكشف عن جوانب حياة الاجتماعية السائدة في عصره والذي يستقري المقامات او يفحصها على مدى تاريخها الطويل منذ البديع عام ٣٩٨ حتى السيوطي عام ٩١١ يجد انها كانت تتحول عند كل كاتب

ومع مرور الزمن الى شكل تتوفر في بعضه المادة القصصية «١٩». ويعد في اكثره كل البعد عن هذه المادة وعن مرونة القصة فتفقد المقامة حركتها وشخصيتها معاً . وهكذا اصبحت المقامة عند

(١٩) خرج علينا الباحثون المعاصرون بتعريفات لمقامة :

١ - يقول جرجي زيدان ( تاريخ اداب الامة العربية ج٢ ص ٣١٩ ) انها حكايات قصيرة موضوعة على لسان رجل خيالي تنتهي بعبارة او موعظة او نكتة والمراد بها في الاكثر التفتن بالانشاء

وتفسيه الاشغال والحكمه .

٢ - يقول احمد حسن الزيات ( تاريخ الادب العربي ) ص ٢٠٦ انها حكاية قصيرة انيقة الاسلوب تشتمل عظة او ملامحة .

٣ - يقول زكي مبارك ( النشر اللغوي في القرن الرابع الهجري ج١ ص ١٩٧ - ١٩٨ ) المقامة هي القصص القصيرة التي يود عب الكتاب ما يشاء من نكرة ادبية او فلسفية او خاطرة وجدانية او شحة من لمحات الذميمة والمجون .

٤ - ويقول احمد امين ( ظهر الاسلام ج١ ص ١٤٢ ) انها حكايات قصيرة تدور كل منها حول حيلة يحتالها رجل لكذب شيء من نال عن طريق التكدب صيغت في اسلوب ادبي .

٥ - ويقول شوخي ضيف ( الفن ومذاهبه في النثر العربي ج٦ ص ) انها نوع من القصص القصيرة تخيل فيها شخصا من المكدين او المتولين يصف من مكان الى مكان يستجدي الناس بفصاحته وبيانه .

٦ - وفي The Modern Arab short story انها تدور حول مفاخرات شخصية معروفة ومميزة بظرفها وانها تكوين ادبي جديد ونموذج لقصة القصيرة تحتوي على مفاخرات للمكدين .

٧ - ويقول توفيق الحكيم ( فن الادب ص ٢٢ ) انها اعمال قصصية قصد بها سرد حكايات وتصوير اشخاص .

٨ - يقول آدم منز ( الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ٣٤٨ ) انها تمهيد للكتابسة الروائية على صورة اكبر ت.د. محمد عبد الهادي

٩ - ويقول د. مصطفى الشكعة ( بديع الزمان بديع الزمان نفسه تعريفه ص ٢٧١ ) ان محاولة البديع في مقامات اول محاولة عرفت في العربية لكتابة القصة ويسمى بديع الزمان بانه رائد القصة العربية .

١٠ - انور الجندي ( معالم الادب العربي المعاصر ) ص ٧٠ . كان اول مراحل الانتاج نحو القصة العربية الحديثة هو ظهور من تقدمت في الادب العربي المعاصر .

آداب الرافلدين م ٨



الزهمخشري ٥٣٨ اسلوبا للمناجاة الدينية ووعظ النفس وحشها على الصلاح والتقوى . وتحولت عند ابن الجرزي ٧٠١ الى خطب ونكت فقهية واصول نحويه واتجهت عند ابن الوردي ٧٤٩ الى حكم ومواعظ تدل شخوصها على وجود الخالق واصبحت عند السيوطي ٩١١ رسائل مسجوعة تمتلي بالحديث والمعلومات . كما ظهرت مقامات العشاق . لمحمد بن سليمان التلمساني ٦٨٨ والمقامات الزمنية لابن الطيفل ٧٠١ والمقامات الشهابية لمحمد بن الحسن سبأخ الجذامي الدمشقي ٧٢٢ ومقامات الجوهرري لابن الثناء محمود بن سليمان الجوهرري الحنبلي ٧٢٥ « ٢٠ »

وبذلك فقد الشكل القصصي اهميته على مر العصور ولم يبق من المقامة سوى هدفها التعليمي والوعظي الذي كان ينشر احيانا على هيكل غير متماسك من الحكاية . ويتوسل باسلوب مزركش مليء بالزينة اللفظية . ولم تنقطع المقامات ولا انقطعت القصص . « ٢١ » ولم يستغن العرب بالامثال عن القصص والاكتفاء بحكمها او نتائجها وداما كما دامت المقامات لتأكيد الادب العربي وتقويته ففتنونا فيها كثيرا مثل مقامة السيد خليل البصير ٦٩١ « ٢٢ » ومقامة السيد فتح الله

(٢٠) عباس الخزاعي ( تاريخ الادب في العراق ) ص ٢٨٩ .

(٢١) دعا السائدان اويس الجليري الى تحرير قصص تلية فقام بالمهمة خواجو النكرماني وعبيد الزكائي وغيرهما المعدد السابق ص ٢٨٩ .

(٢٢) سيد الديوهجي ( مقامة السيد خليل البصير ) .

التادري المتوفي عام ١٢٠٤ «٢٣» وكلاهما تصف حصار الملك نادر شاه «الموصل عام ١١٥٦ هـ و استبسال اهل المدينة وتضحيتهم في سبيل مدينتهم وفكهم للحصار وخضوع نادر شاه وانسحابه وطلبه الصلح من والي المدينة «الحاج حسين باشا الجليلي» «٢٤» ومقامة الشاعر الموصلبي حسن عبد الباقي التي تدور حول الموضوع نفسة وتصف المجاعة التي حلت بمدينة الموصل والتي ذهب ضحيتها عشرات الالوف من السكان ومقامة السيد خليل بكباش «٢٥» الذي يصف ما وصل اليه العلم في مدينة الموصل» من

تدهور على يد المشعوذين من العلماء «ونكت على من لهم في ميادين الفضل سوابق ويزدري بكل شيخ له في الادب اباد ابق السوابق لواحق .. فيا ايها المتقعر في خزعبلاته والمثمر في سفاف خرافاته ما هذه السلاطة الشعاء وما هذه المخاصمة التي هي ادوى من الداء . . . . .» ، ولم تستطع المقامة ولا الالوان القصصية والحكاية القديمة ان تشكل فناً قصصياً متميزاً له معالم واضحة ، وظلت على كثافة عاداتها وتشتت المحاولات فيها مفتقرة الى اليد الصناع التي تخلق منها ذلك الفن . وقد تجرت المقامة على مر العصور . اما باقي العناصر القصصية فلم يهتم بها الخاصة ولا الادب العربي الفصيح اهتماما كبيرا

(٢٣) ياسين بن خير الله الخطيب العمري ( سنية الادباء ) تحقيق سيد الجليلي .

(٢٤) مخطوطة الدكتور صديق الجليلي .

(٢٥) مخطوطة في مكتبة سيد الديوب جي .

وترك امرها وخاصة الانماط الشعبية منها - وهي التي تتميز بل  
 بخصب المادة القصصية . الى عامة الشعب وكانت النتيجة الطبيعية  
 لذلك كله ان القصة في التراث العربي القديم وعلى تتابع عصوره  
 اصبحت غير واضحة المعالم ولكن تأثرها في الفن القصصي  
 العربي واضح بين « ٢٦ » وان كان الاثر الغربي اكثر وضوحا  
 من ناحية البناء الروائي والشكل . فقد تأثر سليمان فيضي في  
 روايته « الايقاظية » ١٩١٩ بفن المقامة كما اثرت السير الشعبية  
 في عدد من الروائيين العراقيين واول ما نلاحظه على اسلوب  
 القصة العربية القديمة انه لم يعن بتصوير اشخاصها ووقائعها من  
 الخارج كما ينبغي بتصويرها من الداخل فنحن نعرف من قراءة  
 قصة كليب مثلاً شيئاً كثيراً من صفات اشخاصها واخلاقهم  
 ومعتقداتهم . ولكننا لم نعرف الا التزر اليسر عن هياتهم  
 وصفاتهم الحسدية وملابسهم . وقد ادرك مؤلفو القصة الحديثة  
 ان تصوير ظواهر القصة مهم كتصور بواطنها لان ذلك يزيدنا  
 تأثراً بها واندماجاً فيها . كما ان بناءها في حاجة ماسة الى الحبك  
 والتشبيب ، وكما كان في حاجة الى الاسهاب والاستفاضة فهو  
 بحاجة الى التخلص من الزوائد واستكمال نواحي النقص فكم  
 من وقائع اضافية لاتمت الى موضوع القصة بصلة وثيقة  
 كانت جديرة بان تحذف . وكم احتاج الموضوع الاصلي  
 الى شرح وتحليل وتعريف لتكتمل صورته كما ان الحوار

---

(٢٦) يقول جوستاف لوبون (ان العرب هم الذين ابتدعوا روايات الفروسية ويشهد التاريخ لـ  
 العفران التي فيها المعري انها تتقدم في الزمن ثلاثة قرون على قصة الملهاة .

الذي يستكمل به موضوع القصة صورته كما ان تستكمل الشخصوس تجسيدها لم يحقق في هذا الصدد الشيء الكثير في القصة العربية القديمة ولم تخل القصة العربية من جمال الاسلوب وفكاهة البيان والمفارقات المستظرفة والفكاهة المرححة التي تتبع بها جو المداعبة مما يكفل السلوه والمؤانسة والامتع ، كما زخرت بتصوير مواقف الحياة الاجتماعية ومظاهرها وما طبعت عليه النفوس من اخلاق وشمائل وتعقبت الوان الشذوذ في احداث الحياة على تعاقب العصور في انماط الناس على تباين الاجناس . مع قدرتها على استنباط الحقائق واكتناه السرائر . ففي هذه القصص ذخيرة نفسية من تجربة الدهر وحكمة الزمن وان كل قصة شأنها في غالب الامر ان تعمل على بسط عبرة وتأييد فكرة او اعلاء مثل كل ذلك باسلوب جنز اللفظ متلاحم النسيج جنز التعبير مستفيض الوصف والتصوير مع قدرة على التمثيل والتصوير والذهاب بعيدا في مساربها وخلق عوالم من الخيال والحوارق لعالم الجن والسحرة والكنوز وبساط الريح . وعندما جاء القرن التاسع عشر وظهرت فكرة بعث التراث تحت تأثير الظروف الاجتماعية والسياسية والقومية وجد الكتاب ان شكل المقامة يتلاءم وبعض حاجاتهم الادبية وقد نظروا اليها النظرة البيانية ولم يلتفتوا الى ما فيها جانبها من عنصر قصصي . وكانت محاولات تراوحت بين الفشل والتقليد المشوه مثل مقامات احمد البربر ١٨١١ ونيقولا يوسف ١٨٢٨ وابراهيم الاحدب عام ١٨٩١ من الاحاجي والالغاز والمعميات وقلدوا

فيها اكثر مقامات الحريري . ولعل انضح هذه المحاولات واشهرها مقامات نصيف اليازجي عام « ١٨٧١ » وفارس الشدياق عام « ١٨٨٧ » في بلاد الشام ، و ابراهيم المويلاحي « ١٨٥٨ » - ١٩٣٠ » في حديث عيسى بن هشام وظهرت في العراق مقامة السيد « خليل البصير » عام ١٧٨١ ومقامة السيد فتح الله التادري المتوفى عام ١٧٨٩ وهما يصفان حصار الملك نادرشاه للموصل عام ١٧٤٣م واستبسال اهل المدينة وتضحيتهم في سبيل مدينتهم . وخضوع نادرشاه وطلب الصلاح من والي المدينة الحاج حسين باشا الحليلي .

ومن هذه المقامات مقامة الشاعر « حسن عبد الباقي عام ١٨٠٠ التي تدور حول الموضوع نفسه وتصف المجاعة التي حلت بمدينة الموصل والتي ذهب ضحيتها عشرات الالوف من السكان ومنها كذلك مقامة السيد « خليل بكتاش » عام ١٨٢٠م التي تصور ما وصل اليه العلم من تدهور في مدينة الموصل على ايدي المشعوذين من مدعي العلم ، ونكت على من لهم في ميادين الفضل سوابق ويزدري بكل شيخ له في الادب اباد ابقت السوابق لواحق ...

فيا ايها المتقصر في خزعبلاته والمتشمر في سفاف خرافاته ما هذه السلاطة الشنعاء وما هذه المخاصمة التي هي ادوى من الداء . ثم كتب محمود ابو الثناء الالوسي « ١٨٠٢ - ١٨٥٤ » بعد ذلك مقاماته الاربع اولها رسالة الى ابنائه . اما الثلاث الباقيات فقد صور فيها حياته ودراسته وشيوخه وما لاقاه من ظلم الولاية

ونفاق الناس . وقد الحق بها مقامة خامسة سماها « سجع القمريّة في ربيع العمريّة » تناول فيها مجتمعا صوفيا يسمى « المجتمع البكتاشي » وافرغ موضوع هذه القصة في قالب روائي وجعل نفسه من ابطاها ليقرب الموضوع من الواقع ووصف وسائل هذه الجماعة في اجتذاب الشباب ووصف ما رآه عندهم من وسائل الأغراء وكأنه انغمس فعلا في لذائذهم . الا انه نجا منهم باعجوبة اذ تغلب فيها على اهوائه . وابدى فيها اوضاع رجال هذه الطريقة ممثلة في واحد منهم هو شيخ البكتاشية « خليل دده » وبين كيف حاول هذا الشيخ اصطياده بتقديم المغريات له فوقع في الفخ والمحرف ثم تاب الى رشده فاستل نفسه .

بجد في هذه المقامة نفحات من الرواية وانطلاقا بسيطا من قيود المقامة . بالرغم من اسلوبها المسجوع فانها لا تخلو من طرافة تجعل القاريء يواصل قراءتها يفتتحها بالبسملة ثم يقول :

خليلي ان الحب ما تعرفانه فلا تنكرا ان الحنين من الوجد  
ويخاطب خليله قائلا « وقد لزمتم الاقامة في المدرسة العمريّة الواقعة في الجانب الغربي من بغداد وشرقي جامع القمريّة بين طلبية اخلاقهم ارق من دمعة الصبا بل الطف من وابل او ام الزهر غب الحذب . ما فيهم الا من جعل له لثمن الايدي لثاما واتخذني دون من هو في السن امامي اماما » .

ثم يطرق بابه رسول يفيض في الحديث عن الهوى والمدام وينشده الشعر العذب ، ويتفق معه على ان يلما ببعض الاصدقاء والاحباب في بستان سليمان باشا الكبير « فلما رأوني قالوا حياك

الله وبياك واسعدنا بلقياك ومتعنا برؤية حيايك . ثم نادى احادهم بصوت مديد اهل القصر ابشروا بالصفاء فهذا بيت القصيد . فجاؤوا يهرعون وجعلوا من حلقهم يسنان ومن كل حذب ينسلون والشيخ امامهم كالكرة يتدحرج ونشر شوقه التقديم الى يتأرجح . ثم يعود الى مدرسته وطلبته ويلقي عليهم الدروس ويحمد الله على انهم لم يعرفوا سر انتشائه وتورد وجنتيه من الحمرة التي شربها . ويعود ثانية في صحبة غلام الى ذلك البستان الوارف ويبدأ مطارحته الغرام « فلما غسلنا الايدي من اثر الطعام هب كل من الحاضرين اثر ذلك للمنام وقمت انا ووسدت الغلام بيمينى وضممته الى صدري لاقية البرد ويميني انه يميني ، فنمنا وما علينا لحاف الا الصيانة والعفاف ولم يوقظنا الا حشر الهجير ببلواه وفاتتنا صلوة الفجر وحسبنا الله . . . فدنا الى ووضع شفته على شفتي فجعلت ارشف من هاتيك الشفاه ما هو لدى اسكندر القلب اهم من ماء الحياة حتى ارتفعت ومن ذياك البارد العذب» . . .

ولكنه سرعان ما يبرم بهذه الحياة فيطلقها طلاقا باثنا ويعود الى سالف سيرته بعد ان مات الشيخ والغلام فجأة . وخرج الالوسي عن نسيج المقامة المعروف فلا نجد في مقامته روايا ولم يستهدف من كتابتها غرضا من الاغراض التي تكتب من اجله المقامات في الادب العربي وانما استهدف غاية اوسع واكثر صلة بالحياة من التعليم او اظهار المهارة اللغوية وقد وفق ابو الثناء في هذه المقامة في عرض مضمون يستوفي بعض

شروط القصة فتمد تابع المحدار الشخصية الرئيسية .  
في المقامة من زهده وتقواه حتى انسياقه مع المجون الذي  
نجح الشيخ في اغرائه به وقد صور مشاعر صاحب هذه  
الشخصية تصويراً صادقاً ينبض بالحرارة . وكان رد الفعل  
النفسى لموت الشيخ ثم الغلام الذي تعلق بحبه البطل طبعياً  
منسجماً مع نغمة البطل التي صورها كما ينسجم حب الغلام مع  
ما كان شائعاً في ذلك العصر لانفصال الرجل عن المرأة  
بحجاب سميك من التقاليد .

وقد استطاع الكاتب من خلال عرضه للحدث ان يبين  
الكثير من انفساد الذي كان يعم المجتمع العراقي .  
ومن المجافة للواقع ان نجد في محاولة ابي الثناء ادراكاً  
واعياً لانشاء قصة ذات لون محلي . رغم ان حوادثها بغدادية  
صرفة وذات لون محلي . وهو امر ينذر ان يلجأ اليه كاتب  
مفرق في القدم والتقليد في عصر مثل عصر ابي الثناء .  
لان الوعي يتأتى من سعى نحو الشيء الذي يزعم الاديب  
انشاءه وهو امر لم يخطر له على بال لانه لم يعرف هذا اللون  
من الفن فقد عاش في بيئة ضيقة منعزلة وهو بحكم ثقافته  
التي نشأ عليها كان اقرب الى الالوان الادبية القديمة فاسرف  
في استعمال السجع والمجاز والاستعارات والتشبيهات  
والاستشهاد بالشعر وتكثف الحوادث .

وقد عد بعض الباحثين الرواية الايقاظية لسليمان فيضي  
والتي ظهرت عام ١٩١٩ من باب المقامة وان كنا نرى  
انها اقرب الى الفن القصصي منها الى المقامة وانها اول



عمل قصصي حديث ظهر في العراق. ولكننا نجدها قد تأثرت بالمقامة من حيث الاسلوب. وعناية فيضحي بالسجع واختيار اللفظ وقصر الجمل وموسيقاها ولكن اسلوبه يختلف مع ذلك عن اسلوب المقاومة في كونه لا يلجأ الى التّعمر ولا يختار الغريب من الالفاظ .

وقد ارتبطت الرواية الايقاظية بالمجتمع الذي تدور فيه وهي في ارتباطها بمجتمعنا تكاد تنفق مع المقامة التي كانت تعني بوصف الكثير من وجوه الحياة الاجتماعية في عصرها على نحو ما نرى في المقامة البغدادية لبدیع الزمان . والتي تصور الحياة في بغداد والمقامة النيسابورية التي تقدم صورة دقيقة لفساد القضاء في عصره .

وتشبه شخصية «يقظان» شخوص المقامات . فهي شخصية وهمية تلازم «باقل» الشخصية الرئيسية دائماً وتقف الى جانبه ولا تحس الشخوص الاخرى بها ودأبها الانتقاد والتعليق على حديث الشخوص ثم تختفي نهائياً من الرواية بعد ان يتقظ «باقل» ويتلقى العلم في المدرسة .